Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وما الخيل إلا كالصديق قليلة وإن كثرت فى عين من لايجرب
إذا لم تشاهد غير حسن شياتها وأعضائها فالحسن عنك مغيب

قال عبدالقاهر(١) وقد تجد فى كلام المتأخرين الآخرين كلاماً حمل صاحبه فرط شغفه بأمور ترجع إلى ماله اسم فى البديع إلى أن ينسى أنه يتكلم ليفهم ، ويقول ليبين . ويخيل إليه أنه جمع بين أقسام البديع فى بيت فلا يضير أن يقع ماعناه فى عمياء ، وأن يوقع السامع من طلبه فى خبط عشواء ! .

وربما طمس بكثرة مايتكلفه على المعنى وأفسده ، كمن ثقل العروس بأصناف الحلى ، حتى ينالها من ذلك مكروه فى نفسها .

وعلى الجملة فإنك لاتجد تجنيساً مقبولاً ولا سجعاً حسناً حتى يكون المعنى هو الذى طلبه واستدعاه وساق نحوه ، وحتى تجده لاتبتغى به بدلا ولاتجد عنه حولا . ومن هناك كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه ، وأحقه بالحسن وأولاه ، ماوقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه وتأهب لطلبه أو ماهو لحسن ملاءمته – وإن كان مطلوبا – بهذه المنزلة وفى هذه الصورة ، وذلك كما يمثلون به من قول الشافعى رحمه الله تعالى – وقد سئل عن النبيذ فقال « أجمع أهل الحرمين على تحريمه » ! .. ومثال ماجاء من السجع هذا المجىء ، وجرى هذا المجرى فى لين مقادته ، وحل هذا المحل من القبول قول قيس بن سعد بن عبادة « اللهم هب لى حمداً ، وهب لى مجداً ، فلا مجد إلا بفعال ، ولا فعال إلا بمال » وقول ابن العميد « فإن الإبقاء على خدم السلطان عدل الإبقاء على ماله ، والإشفاق على حاشيته وحشمه عدل الإشفاق على دينار ودرهمه » ! .. ولست تجد هذا الضرب يكثر فى شىء ويستمر استمراره فى كلام القدماء .. فأنت لاتجد فى جميع ذلك لفظاً اجتلب من أجل السجع وترك له ماهو أحق بالمعنى منه وأبربه وأهدى إلى مذهبه ! .

ومن هنا يمكن القول بان انحياز عبدالقاهر إلى جانب المعنى وتعصبه له وإرجاعه كل مزية فى الكلام إليه يمثل ثورة على الصناعة التى استفحل أمرها ، وغالى الأدباء وأسرفوا على أنفسهم وأدبهم فى حشد فنونها فى القرن الرابع ، وفى القرن الخامس الذى عاش فيه عبدالقاهر ، وقد بلغت الصناعة فيه ذروتها ، فكأن موقف عبدالقاهر كان رد فعل لذلك

---

(١) أسرار البلاغة ٧ .